آليات الدعم النفسي والاجتماعي ودورها في تشكيل الهوية النفسية والاجتماعية لأطفال اللاجئين السوريين

د. بوصلب عبد الحكيم – جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 الجزائر

ملخص:

تعتبر الحروب والنزاعات من أشد الشرور التي تلحق البشرية يسببها البعض ويجني منها البعض ، ويعاني من ويلاتها الكثيرون ،هاته المعاناة التي قد يطول أمدها وتبقى راسخة في أذهان من عايشوها،والمتأثرين منها عادة هم الأطفال الذين يكونون في مرحلة نمائية غير مكتملة ، هذا ما يمر به أطفال سوريا الذين هم في الداخل واللاجئين منهم على السواء ،فلم تصبح أزمتهم عبارة عن أحداث عابرة تحكيها ذاكرة الكبار،بل هي أحداث مستمرة عايشها جيلا بكامله في طفولته ،وقد تمتد حتى مراهقته ورشده ،لذا تصبح عملية الدعم النفسي والاجتماعي المتواصل ضرورة ملحة وعلى رأس أولويات كل مهتم بالشأن السوري، والتي تسهم فيها أجهزة التعليم والمدارس بشكل كبير وفعال، في سبيل ترسيخ هوية نفسية واجتماعية ذات انتماء ومرجعية ثقافية .

مقدمة :

تعتبر عملية الدعم النفسي والاجتماعي من العمليات الاستعجالية التي تسعى إليها المنظمات الدولية كالمنظمة الدولية لشؤون اللاجئين ،ومنظمة اليونيسيف أو منظمة الصحة العالمية ،وهذا إبان الأزمات التي تتعرض لها الشعوب والأمم،القصد منها التخفيف من معاناة ضحايا الأزمات والكوارث والحروب ،والمتعارف عليه أنه كلما كان التكفل سريعا ونوعيا كلما خرج هؤلاء الأفراد المتألمين من معاناتهم ،وكانوا أكثر إيجابية في التعامل مع وضعياتهم الجديدة ،وتعتبر الحروب والنزاعات المسلحة من أكبر الشرور على البشرية كونها لا تكتفي بالقتل والدمار والتخريب بل ينتج عنها اليتم و العنوسة والجهل والفقر والأمراض والتشرد،وهذا من نلاحظه من انعكاسات الناتجة عن الحرب السورية التي أفرزت وضعا مأسويا تمثل في الملايين من اللاجئين والمشردين ،حيث أصبحت من بين كوارث القرن ،ويلاحظ على هؤلاء كثرة الترحال والبحث عن اللجوء الآمن حتى وإن كان عن طريق المغامرة والمخاطرة غير المضمونة النتائج،كما يعتبر الأطفال هم الأشد ضررا من هذا الوضع حيث تتشكل هوياتهم في ظل المشاهد المفزعة من القتل والرعب والخوف فضاعوا بين هذا وذاك وأصبحوا لا يدركون من هو الصديق ومن هو العدو ،هذا الشعور يصاحبهم حتى يصبحون يافعين ،وبالتالي فهم يفتقدون لمشاعر الأمن والطمأنينة وليس لديهم انتماء

حقيقي يعبرون من خلاله عن ذاتهم فتتولد لديهم الرغبة بالانتقام من وضعهم و من محيطهم،وغالبية المنظمات المهتمة بالتكفل الإنساني تعمل جاهدة على تلبية الحاجات الأساسية أو تتناسى ويتجاوزها الأمر لمراعاة الحاجات الاجتماعية لهؤلاء .... إنهم حائرون، تراهم تائهين، أو يتساءلون ؟من نحن ؟لماذا يحدث كل هذا لنا ؟ما ذنبنا إذا لم يتفق السياسيين فيما بينهم ؟ما حكمنا؟ما مصيرنا؟ ما هو انتماؤنا؟ هل بإمكان أن نكون أفضل ،وبحسب دراسة **علياء أحمد** "والتي هدفت إلى معرفة تأثير الأزمة السورية على الوضع النفسي لعينة من الأطفال اللاجئين في الداخل السوري تبين أن 73بالمائة يحلمون بالعودة إلى منازلهم،و85 بالمائة يخافون أصوات القصف والمدافع و65بالمائة يرون بأن المدرسة هي السبيل لتحقيق مستقبل أفضل، وقد بينت الدراسة بأن حياة جميع الأطفال مرتبطة بالعنف السائد خلال الأزمة رغم أن هاته العينة تتواجد في منطقة آمنة نسبيا ،كما بينت الدراسة بأن الصدمات النفسية تختلف في شدتها وليس في نسبة انتشارها، وبأنها تتراوح مابين الانطواء،والابتعاد عن الأقران،وزيادة العنف والعدوانية، التفكير في الانتحار، الابتعاد عن الانضباط بالقواعد والضوابط "[1]

مـدخل مفاهيـــمي :

1-تعريف الحدث الصادم:

يعرف على أنه حدث مفاجئ،غير متوقع يدرك على أنه خطر /مهدد ،وقد يتضمن تهديد أو إصابة حقيقة بأذى جسدي،مما يسبب خوف حقيقي ،يربك صاحبه على التكيف.

2-تعريف الصدمـــة:

تعرفها الرابطة الأمريكية للطب النفسي " بأنها التعرض لحدث صدمي ضاغط على نحو مفرط الشدة متضمنا خبرة شخصية مباشرة لهذا الحدث الذي ينطوي على موت فعلي،أو تهديد بالموت أو إصابة شديدة أو غير ذلك من التهديد للسلامة الجسمية، أو مشاهدة حدث يضمن موتا أو إصابة أو تهديدا بسلامة الجسم لشخص آخر،أو الإصابة مما قد وقع لعضو من أعضاء الأسرة،أو لبعض الأصدقاء." [2]

3-اضطراب مابعد الصدمة:PTSD[3]

هو اضطراب قلق قد يتطور بعد أشهر أو ربما سنوات من اختبار أو مشاهدة حادث صادم،ومن أمثلة الأحداث الصادمة مايلي:فقدان حبيب،حادث سيارة،عنف بين الأشخاص،مشاهد لنزاعات عسكرية.

---

[1] – تأثير الأزمة السورية على الوضع النفسي للأطفال في الداخل السوري- علياء أحمد. – مجلة دلتا نون عدد 4 أكتوبر2015.

[2] - Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders ,American Psyhiatric Associatin1994.

[3]- فهم اضطراب الصدمة لدى الأطفال- كتاب مترجم للمؤلفين Ellen Bassuk ; Kristine Konnath ; Katherine Volk February2006 The national center. family homlesseness. .p10.

4-أعراض اضطراب ما بعد الصدمة:

- إعادة اختبار الحدث الصادم من خلال الكوابيس.
- فرط التيقظ أي صعوبة الدخول في النوم أو البقاء نائما،انفجارات ،غضب،نقص التركيز،فرط الاستثارة
- تجنب تذكر الأحداث مترافق مع سلوك ضيق وحذر أي انخفاض في المشاركة والشعور بالانفصال والغربة عن الآخرين.

وينقسم اضطراب ما بعد الصدمة بشكل عام إلى قسمين:

4-1اضطرابات الصدمة الحادة:الاضطراب الحاد يكون ناتج عن حدث وحيد مثل(حادث سيارة الكارثة الطبيعية،كوارث الحروب...)،حيث تتفاوت استجابات الأطفال للأحداث الصادمة،لذا فأن إطلاع القائمين على رعاية هؤلاء الأطفال يمكنهم من تأمين ألامان والحماية وكذا النمو السليم.

4-2الصدمة المعقدة/المتعددة:وهي تلك الناتجة عن التعرض لعدد من الأحداث الصادمة طويلة الامد أو المتعددة ، وهذا النوع من الصدمات تزيد احتمالات حدوثه في علاقات العناية، مثل الإهمال،أو الإساءة الجنسية أو الجسدية[4]

5- الصدمة و الدعم النفسي الاجتماعي:

تعتبر المساندة المتمثلة في الدعم النفسي والاجتماعي من بين العمليات الأساسية التي تقدم لضحايا الكوارث والأزمات الحروب والنزاعات العسكرية ،حيث تحاول المنظمات الإنسانية الحكومية وجمعيات المجتمع المدني للتكفل بضحايا هاته الأزمات لمساعدتهم على تجاوزها بأقل الأضرار والانعكاسات الآنية أو البعدية أي مضاعفات أو اضطرابات مابعد الصدمات.

يعرفه **كوهين Cohen** "بأنه النمط المرغوب من السلوك الاجتماعي الذي يسود بين أفراد المجتمع في موقف معين ،أكثر من كونه مظهرا لعملية تعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية".[5]

كما يعرفه **النوحي** "بأنه إبداء اهتمام بمشاكل واحتياجات الأفراد والأسر ،وتوفير كل الإمكانيات المتاحة لهم في كل الأوقات ،وإظهار الاهتمام والانتباه لكل ما يحتاجون غليه حتى يستعيدوا قدراتهم وأدائهم الاجتماعي"[6]

---

[4] - فهم اضطراب الصدمة لدى الأطفال- كتاب مترجم للمؤلفين Ellen Bassuk ; Kristine Konnath ; Katherine Volk February2006 The national center. family homlesseness. .p34.

[5]- فاعلية برنامج الدعم النفسي والاجتماعي المبني على المدارس الاساسية في تنمية بنائية اللعب والثقة بالنفس والتسامح. نيفين محمد صالح عبد الهادي. رسالة ماجستير 2013 ص14.

ويعرف كذلك بأنه تلك العلاقة الديناميكية بين كل من البعد النفسي والبعد الاجتماعي للفرد في تفاعلهما مع بعضهم البعض ، حيث يشمل ابعد النفسي العمليات النفسية والفكرية الداخلية وكذا المشاعر وردود الفعل ،أما البعد الاجتماعي فيشمل العلاقات والشبكات الأسرية والقيم الاجتماعية والممارسات الثقافية ،ويشير الدعم النفسي والاجتماعي إلى إجراءات تتصدى على حد سواء للاحتياجات النفسية والاجتماعية للأفراد والأسر والمجتمعات المحلية (شقير 2010 ص24).[7]

6-أنـواع الدعم النفسي الاجتماعي: إن الدعم عملية أساسية لتدعيم مواطن القوة ،وأداة للوقاية من تراكم التعثرات والثغرات التي تعترض الطفل ،فالثغرات قد يكون مظهرها معرفيا تحصيليا،لكن وجهها الخفي قد يكون اجتماعيا أو نفسيا أو اقتصاديا أو صحيا.

وعليه فهناك أنواع من الدعم النفسي و الاجتماعي وهي:

6-1 الدعم الوجداني المعنوي:

وإظهار التعاطف ،والاهتمام والمودة ، والمحبة والثقة والتقبل والألفة ، والتشجيع والرعاية للفرد وإشعاره بقيمته ويسمى أحيانا بدعم الدفء والحنان أو بدعم التقدير.

6-2 الدعم المادي:

والمقصود به تقديم المساعدة المالية أو السلع والخدمات.

6-3 الدعم المعلوماتي:المقصود به تقديم النصيحة والتوجيه والاقتراحات والمعلومات المفيدة للشخص،هذا النوع من الدعم يساعد الآخرين في حل مشكلاتهم.

6-4 دعم الرفقة :هذا النوع الأخير من الدعم هو ما يحتاجه هؤلاء الباحثين عن الملجأ والأمن فهم بحاجة للشعور بالانتماء الاجتماعي (ويسمى بدعم الانتماء)،ويكون بالانخراط في الأنشطة الاجتماعية المشتركة معهم. Uchino ;b ;2004p16.17[8]

7-آليات الدعم النفسي والاجتماعي للأطفال اللاجئين:

وهي عبارة عن خطوات للقائمين بالرعاية النفسية والاجتماعية وتتمثل فيما يلي:[9]

فقبل البدء بعملية التكفل النفسي للطفل المصدوم يجب مراعاة حاجاته و أهما:

---

[6]- خدمة الفرد السلوكية - النوحي عبد العزيز القاهرة مصر . ص.116

[7]- فاعلية برنامج الدعم النفسي - مرجع سبق ذكره ص14.

[8] - فاعلية برنامج الدعم النفسي مرجع سبق ذكره ص15 .

[9]-فهم اضطراب الصدمة مرجع سبق ذكره ص.16

7-1الأمـــن: إن الخبرة الصادمة تصور للطفل بأن العالم غير آمن وغير قابل للتنبؤ،فيلجأ بذلك القائمين بتوفير العناية والدعم النفسي من مرشدين وأخصائيين نفسيين وحتى معلمين ليوفروا له الحماية والأمان من خلال المقترحات التالية:

* تعريف الطفل بالأماكن الآمنة،مثل الأماكن الهادئة.

* تعريف الطفل بالأشخاص الآمنين والذين بإمكانهم تقديم يد المساعدة، ومعرفة مع من يريد الحديث عدما يشعر بالغضب والتوتر.

* أخبر الطفل ما الذي قد يتوقع حدوثه وشاهدته أثناء النوم.

* تذكر بأن كل طفل يختلف عن أخر وعن المكان الذي يشعر فيه بالأمن مما يتطلب التواصل مع أشخاص آخرين حول كيفية الوصول إلى هذه المعلومات.

* يجب على المختص أن يكون على علم بكيفية صياغة التقارير وأن يكون على إطلاع بالتشريعات المنظمة لهذا العمل.

7-2الاستقرار والتـوازن:

إن الأطفال المصدومين يحتاجون إلى الاستقرار ليوفر لهم الإحساس بالقدرة على التنبؤ، والاستمرار، الأمان وبالتالي فهم الحدث الصادم، والاستمرار في الحياة.ويكون ذلك من خلال الخطوات التالية:

* حاول أن تخلق نظاما يوميا: مثل كتابة جدول للأحداث اليومية المعاشة والتقيد به من طرف الطفل ،فمجرد الشعور بالاستقرار والقابلية للتنبؤ تتولد ليه مشاعر الآمان والحماية.

*خلق نظام المساندة والدعم: ويتألف من المحيطين بالطفل من أهل وأقارب ومعلمين، مرشدين، رجال الدين، أعضاء النوادي والجمعيات....

*السهر على تأمين الصحة والحاجات الجسدية:إن الخبرة الصادمة ذات تأثيرات انفعالية وجسدية من مثل آلام الرأس والمعدة، والعضلات،يجب التأكد من سلامة الصحة الجسمية وتوفر وقت للنوم،والأكل الجيد، وشرب كمية كافية من الماء، وممارسة بعض التمارين الرياضية.

*توفير فرص للعب والرسم:إن الأطفال يعبرون عن مخاوفهم من خلال اللعب والرسم ،فحاول أن تسمح للطفل من التحدث وتمثيل ردات الفعل ،مع التأكيد على حل وتجاوز المشكلات بطريقة إيجابية.

*التميز بالهدوء : يجب على القائم بالرعاية أن يتميز بالاتزان وأن لايتحدث أمامهم عن مخاوفه، لأنه ملجأ هؤلاء الأطفال حتى لاتزول ثقتهم به.

7-3الـدعـم والمسـاندة:

قد يحتاج الاطفال إلى تأمين دعم مستمر على المدى الطويل فهم يحتاجون إلى مساندة وتكفل طويلة الأمد ويكون ذلك من خلا ل مايلي:

*الاستماع بتعاطف: فالبنسبة للأطفال ماقبل المدرسة قد نجد لا نجد ا لديهم القدرة على التعبير عن مشاعرهم ومخاوفهم ،حاول تشجيعهم لتوصيف مشاعرهم عن القلق ،والحزن، الغضب ،الخوف، بكلمات وأترك لهم حريم الحديث والكلام في أي وقت،وحرية ممارسة الرسم.

*ضبط وملاحظة المواقف والأحداث التي تطلق الذكريات الصادمة:هي عبارة عن أحداث وتلميحات أو ما يسمى بمولدات الذكرى التي تسبب غضب الأطفال مجددا وتثير انزعاجهم، قصد تجنيبهم إياها وتوضيح الفرق بين الأحداث الحقيقية والأحداث المشابهة.

*حاول أن تعطي إجابات صادقة وواضحة:يجب التأكد من فهم الأطفال للغتك والكلمات التي تستخدمها، حاول أن تكتشف التفسيرات الأخرى عن الحادث التي سمعها الأطفال لغرض توضيح المعلومات غير الدقيقة ،حاول تفادي التفاصيل التي قد تخيف الطفل.

*استعمال تمارين الاسترخاء:إن التنفس العميق، والاستماع إلى الموسيقى الهادئة، واسترخاء العضلات كلها تساعد في إزالة التوتر.

*تأمين ممارسة تمارين رياضية بتنظيم:إن الأطفال الذين تعرضوا لحادث صادم قد تجدهم عدوانيين وغير مرتاحين فممارسة الرياضة بانتظام وبطريقة جماعية توفر لهم مخرجا ومتنفسا لمشاعرهم.

*تشجيع الأطفال على الكتابة والرسم: من خلال اقتراح على الأطفال كتابة قصص أو القيام برسومات عن الخبرات التي مروا بها على أن لا تجبرهم على ذلك.

*جعل الأطفال منخرطين في الأنشطة:من خلال الدفع بهم لممارسة الأنشطة الرياضية والفنية، الهوايات لأنها أنشطة تعبيرية.

8– مفهوم الهوية النفسية والاجتماعية:

إذا سلمنا بتعريف **إريكسون**Eriksson للهوية فإنها ذلك المجموع الكلي المركب لخبرات الفرد وبأنها مركبة من مكونين هما هوية الأنا وهوية الذات فالأولى ترجع إلى تحقيق الالتزام في بعض النواحي كالعمل والقيم الإيديولوجيات المرتبطة بالسياسة والدين وفلسفة الفرد لحياته ،أما هوية الذات فترجع إلى الإدراك الشخصي للأدوار الاجتماعية[10] ،فهؤلاء اللاجئين يفتقدون لهذين المكونين كالالتزام بالقيم الايدولوجيا لأن همهم الوحيد إشباع حاجاتهم الأساسية وبالتالي فهم غير مقتنعين بالقيم السياسية وحتى الدينية بالقدر الذي

[10]– نظريات النمو– محمد السيد عبد الرحمن – نظريات النمو – مكتبة زهراء الشرق 2001ص157

يجعلها توجه حياتهم وتضبط سلوكهم اليومي. أما هوية الذات فترتبط بالأدوار الاجتماعية غير الواضحة في أذهان هؤلاء اللاجئين لأنهم غير مستقرين،مما يجعل من طموحاتهم تتلاشى أمام الوهن الذي ينتابهم يوميا جراء أوضاعهم.وعليه فهي تمثل حاجة حيوية لوجود كل إنسان في حياة اجتماعية ذات معنى ، ولا يمكن الشعور بالرغبة في البقاء على قيد الحياة بدون الإحساس بهوية الأنا، والحرمان يمكن أن يقود إلى الانتحار [11].وعليه فتفاديا لخلق ما يسمى بالأقليات المظلومة التي يجد أفرادها مرغمين على التوافق مع الهوية السلبية التي تبنيها المجتمعات التي تأوي هؤلاء الأطفال من اللاجئين وهذا من خلال نظرتهم لهم بأنهم غير مرغوب فيهم وغير مرحب بهم.

أما التفسير الثاني للهوية جروتيفانت وآخرون والذي هو امتداد لتفسير اريكسونEriksson فهو ينظر إلى للجوانب العقائدية الإيديولوجية كمحددات للمعايير والقيم و للعلاقات بين شخصية.

تعريف بيرزونسكي Berzonsky1989 هي بناء مفاهيمي من الأبنية المعرفية والمخططات العقلية لمعالجة وتذويب الفرد للمعلومات ذات الصلة بالذات[12]

أما مارسيا Marcia 1966 عرفها بأنها تنظيم حيوي نشط داخلي وذاتي التركيب من القدرات والمعتقدات والتاريخ الشخصي للمراهق.[13]

وقد حدد مارسيا أربع رتب للهوية وهي:

أ- تحقيق الهوية:وفيها يقضي الفرد وقتا فعالا لتحديد هدفه من الحياة واعتبار الذات والقيم التي يؤمن بها،ويتعهد شخصيا بالكفاح في سبيل تحقيق الأهداف.

ب- تشتت الهوية:ومعناه معاناة الفرد من أزمة الهوية وليس له أي تعهد لخطة من خطط الحياة أوإرساء مايسمى بالمبادئ العامة.

ت- انغلاق الهوية: وتعني الشخص الذي لا يتعهد بشئ محدد يلتزم به،وليس لديه إحساس بالهوية.

ث- تعليق الهوية:وتمثل ميل الفرد إلى البحث عن هويته الشخصية ومحاولة التوصل إلى ذلك مع عدم المقدرة على تجاوز أزمة الهوية.

---

[11]- نظريات النمو – محمد السيد عبد الرحمن مرجع سابق ص156

[12] جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب – بوعيشة آمال (2014/2013)جامعة بسكرة الجزائر.116

[13]- جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب – مرجع سابق 117.

ج- من هذا يمكن أن نقول بأن الهوية ذات بعدين الأول سيكولوجي متمثل في الهوية النفسية التي تنمو وتتطور موازاة مع مراحل النمو، والثاني سوسيولوجي ويسمى بالهوية الاجتماعية، وتمثل معيارية

ح- الثقافة ورمزيتها من أنماط ومعايير ثقافية وأدوار اجتماعية،وهما بعدين من الصعب الفصل بينهما.[14]

9- تشكل الهوية النفسية والاجتماعية لدى أطفال اللاجئين السوريين:

يبدأ تشكل الهوية مع بداية إلحاح تساؤلات من أنا؟ من أكون؟ وما دوري في الحياة ؟ ويستمر التشكل بشكل أكثر وضوح مع بداية اختيار المراهق لما يناسب ميوله وقدراته من هذه المعتقدات والأدوار والأهداف وممارستها والالتزام بها.[15]

إن حل أزمة الهوية إيجابا أو سلبا يعتمد على طبيعة النمو خلال المراحل السابقة أي طبيعة حل أزمات النمو وطبيعة النمو النفسي المترتب عن ذلك،وتحل هاته الأزمة في نهاية مرحلة المراهقة أي في نهاية المراحل التعليمية أين يكون الفرد قادرا على تكوين صورة متكاملة لهويته ، وتكوين إحساس قوي بتفرده ووحدته الكلية وتمايزها ،واستمرارية ماضيه وحاضره ومستقبله،وأيضا قدرته على حل الصراع والتوفيق بين الحاجات الشخصية الملحة والمتطلبات الاجتماعية،كما يعتمد تشكل الهوية على التوحدات التي تمت في المراحل السابقة ،لكنها ليست أيا من هذه التوحدات وليس مجموعها ، إلا أنها تعتبر نتيجة لعملية دمج تلك التوحدات في وحدة جديدة ،ويعتبر تشكل هوية هؤلاء الأطفال معرض لكثير من الإظطراب والأزمات المرتبطة بخبرات الماضي وبتصورات المستقبل هذا كله يجعل هوية هؤلاء الأطفال تعترضها كثير من الشوائب التي تجعل من نموهم مهتز وغير منسجم مما ينعكس ذلك على سلوكهم وعلى صورتهم لذاتهم ولغيرهم.

10- المدارس ودورها في بناء الهوية النفسية والاجتماعية لأطفال اللاجئين السوريين:

تعتبر المدارس من بين المؤسسات الاجتماعية الرسمية التي تعمل من خلالها الدولة والمجتمع على ترسيخ خصوصيتها الثقافية وتميزها عن الأمم ،فمن خلالها يتماهى الأطفال والمراهقين مع النماذج ذات الحيز

[14]- بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس – ج3- بشير معمرية- منشورات الحبربي مسوس- الجزائر2007 ص153.

[15]- علاقة تشكل هوية الأنا بكل من مفهوم الذات وعلاقتها بالتوافق- عبير بن محمد حسن عسيري الطائف (2003/2004 ،) ص.15[15]

الأكبر من التفضيل، وعليه يمكن أن نقول بأنها الوعاء التي يستدخل فيه المجتمع مصيره ماضيه حاضره ومستقبله تاريخه وتحدياته ،حيث يكون الأطفال لأنفسهم بذلك فردانية تتطور فيما بعد إلى هوية نفسية واجتماعية تنسجم مع الأدوار الاجتماعية المطلوبة منهم مستقبلا ،على هذا تصبح مسألة أن يحظى أطفال اللاجئين من تكفل تعليمي يحترم فيه خصوصيتهم وتميزهم عن الأخر في إطار من التسامح والتعايش دون أي مزايدات من هذا وذاك لان حجم المعاناة لدى هؤلاء اكبر ومعاناة المجتمعات التي تأويهم كبيرة ،وسوف تكون اكبر لو يبقى هذا الجيل من الأطفال دون تكفل وعناية تجعل منه يرغب في العودة إلى بلده من تلقاء نفسه دون أي إرغام أو إبعاد، فتوليد الإحساس بالانتماء يأتي بالاستدخال والتميز وليس بالتحفيز والقهر.فالمؤسسات التعليمية مطالبة بالقيام بالعمليات التي تكسب الأفراد صفتهم المجتمعية والتمتع بحس مدني باعتبارهم مواطنين مسئولين حيث يتم ذلك من خلال ثلاث أنماط للفعل التربوي وهي:

1- الفعل الأدائي:Instrument Action ويتمثل في إكساب المتعلمين الاتجاهات والمهارات، والميولات، والكفاءات التي تسمح لهم بالحصول على مهنة مستقبلا، وبالتالي يبتعدون عن الاعتمادية المطلقة حتى في الأكل والشرب كما هو حال هؤلاء اللاجئين.

2-الفعل التعبيريExpressive Action وهو محاولة الطلاب إشباع حاجتهم المكتسبة عن طريق التعليم،أو التقليد،فيعبرون عن ذواتهم بأفعال تعبيرية كثيرة من خلال المهارات المختلفة التي تعكس قدراتهم وكفاءاتهم الفردية.

3-الفعل المعياري الأخلاقيMoral Normative Action يوجه هذا الفعل لتحقيق التضامن ،والتكامل مابين الطلاب من خلال مشاركتهم للأفكار سواء كانت خاطئة أو صحيحة،ومنه فالمؤسسة التعليمية تسعى لتكوين الفرد أخلاقيا،من خلال مظاهر متعددة من الأنشطة التي تفرض عليهم بطريقة مباشرة داخل المؤسسة التعليمية ،وخارجها بطريقة غير مباشرة.[16]

[16] – علم اجتماع التربية –عبدالله عبد الدايم – دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية2001 ص ص 59-60

من هذا كله تصبح المدارس من رياض أطفال والمؤسسات التعليمية بجميع مراحلها هي السبيل الذي يقي هؤلاء الأطفال من جحيم المعاناة والأفكار الهدامة المتعلقة بالتطرف وخلايا الاستيعاب الفكري المليء بالمتضادات التي تجعل من الطفل لا يميز انتمائه ولا حقيقته فيسهل انقياده ،فرغم أن العبء كبير والتحدي أكبر إلا أن النتيجة ستكون لا محالة بعد سنوات من الآن لأن أزمة اللاجئين لا تحل في فترة وجيزة كما يعتقدها البعض بأنها سحابة عابرة،بل هي أكثر من ذلك بكثير وقد تمتد افرازاتها لأجيال.

11- التعليم وتأصيل الهوية النفسية والاجتماعية لأطفال اللاجئين:

تفاديا لما يسمى بالثقافة المعادية للمدرسة وللمجتمع تصبح عملية تأصيل التعليم للأطفال اللاجئين كعملية استراتيجيه وليس سطحية كما يعتقد الكثيرون ،بمعنى انه لزاما على المجتمع الدولي والهيئات الإنسانية وكذا الجمعيات والهيئات الأهلية والمؤسسات الرسمية المنوطة بتعليم اللاجئين أن تعمل على تأصيل التعليم بالنسبة لهؤلاء الأطفال من خلال استدخال قيم المواطنة في إطار ديمقراطي وعالمي متفتح على الأخر،لأن بالتعليم يتم تعديل كثير من السلوك وترسيخ عدد أكبر من القيم والمعايير عوض أن يدخل هؤلاء الأطفال فيما يسمى باللاهوية وتكون انعكاساتها على المدى البعيد أكبر سواء على أنفسهم أو على الأقطار التي تأويدهم بمعنى تنعدم لديهم معايير الضبط والمرجعيات القيمية التي تحدد سلوكهم وتفسر تصرفاتهم ، وعليه فنحن نتساءل كيف يمكن للهيئات الدولية أن تعالج قضايا ملايين البشر وخاصة إذا كان هؤلاء منتجين للمشاكل ،وللإجابة على هذا السؤال، فإنه على المجتمع الدولي ممثلا في هيئاته الإنسانية والثقافية والعلمية والصحية عليه أن يجعل من تعليم أطفال اللاجئين على رأس الأولويات حتى يتمكنوا من تسيير أنفسهم ولا يبقون عالة على غيرهم وحتى تتسع طموحاته في غد أفضل ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تأصيل هويتهم المبنية على أساس التعدد والتنوع في إطار قيم التسامح والمحبة لأنهم بحاجة ماسة للشعور بالانتماء ،وكي لا تتولد لديهم المشاعر الانتقامية اتجاه غيرهم لأن الفرد بطبعه عدواني إزاء الأوضاع والأنظمة الاجتماعية المفروضة عليه والتي لا تسمح له بالتنفيس عن ذاته والتعبير عن هويته النفسية والاجتماعية.وعليه تعتبر الأنظمة التعليمية حسب **بارسونز** .[17]من بين الأنظمة الاجتماعية التي تؤدي إلى الضبط الاجتماعي وإلى حدوث التكامل والتجانس والتعاون والتماثل للقواعد والقوانين التي تؤدي إلى

[17]- التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر1962-1980 –ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.1986 ص88

المحافظة على المجتمع كله، حيث يشير **الوافي عبد الرحمان** سنة 2011 [18]بأن الأفراد بالتحاقهم بالمدارس والإكماليات والثانويات والجامعات يكونون عرضة لتأثيرات البيئة على نطاق أوسع ومن نوع آخر،فقد تتعدل دوافعهم الفطرية وتنمو ضمائرهم واتجاهاتهم نحو سلوك معين أثناء تفاعلهم الاجتماعي مع الجو المدرسي والتعليمي.

12- المناهج التعليمية والخصوصية الثقافية لأطفال اللاجئين:

تعتبر المناهج والمضامين التربوية الأداة المثلى التي تعمل من خلالها الأنظمة السياسية على الحفاظ على بقاءها واستمراريتها ، والتاريخ البشري شاهد على تأثير السياسة على القيم التربوية المراد استدخالها لدى الأطفال ،وأمام هذا الوضع الرهيب من اللاجئين يعتبر الأطفال الفئة الأكثر ضررا ومعاناة من صدمات الحرب والمشاهد المفزعة الناتجة عنها، فإن الحاجة ماسة لتخطيط ووضع برامج تربوية تحترم من جهة الخصوصية الثقافية لهؤلاء اللاجئين ومن جهة ثانية تراعي خبراتهم وصدماتهم إزاء فقد الأهل أو تشتت الأسر، فالنسبة للخصوصية الثقافية وفي إطار التفكير بأنه سيأتي يوما لهؤلاء اللاجئين ويعودون إلى بلدهم فيجب أن يكون لديهم الشعور بالانتماء لجهة أو مكان ما يدفعهم لمحاولة الرجوع إلى ديارهم وموطنهم بسلام وفي أمان ، بناء عليه تصبح فكرة التربية على المواطنة من بين المتطلبات ذات الأهمية القصوى التي يجب تثقيفها لهؤلاء الأطفال خاصة بعد أن اتخذ هذا المفهوم أي المواطنة معنى العالمية حيث تحددت مواصفات المواطنة الدولية [19]على النحو التالي:

- الاعتراف بوجود ثقافات مختلفة.
- احترام حق الغير وحريته.
- الاعتراف بوجود ديانات مختلفة.
- فهم و تفعيل إيديولوجيات سياسية مختلفة.
- فهم اقتصاديا العالم.
- الاهتمام بالشؤون الدولية.
- المشاركة في تشجيع السلام الدولي.
- المشاركة في إدارة الصراعات بطريقة اللاعنف.

[18] – في سيكولوجية الإنسان والمجتمع،عبد الرحمن الوافي،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،2011 ص 96

[19] - Social Knowledge And Citizenship Education :Two Views Of Criticism.1980 pp115.

هذه مواصفات الموطن في القرن الواحد والعشرين ويمكن فهمها بشكل أفضل في صورة كفاءات تنميها مؤسسات المجتمع وعلى رأسها المدارس لتزيد من فاعلية الارتباط بين الأفراد على المستوى الشخصي والاجتماعي والمحلي والدولي وتحترم الاختلافات الثقافية.

- الأسس التي سنبغي أن تقوم عليها المناهج لأطفال اللاجئين:

إنه وبغرض خلق جيل فاعل وقادر على الاعتماد على نفسه وتلبية حاجات معيشته، في إطار من الانسجام مع الوضع الذي يعيش فيه وكذا البيئة الاجتماعية التي يتواجد فيها يلح علماء التربية وعلى رأسهم المربي السويسري الشهير بستالوتزيpestalotrzi أنه إلى جانب احترام الميول والحاجات الإنسانية،والقدرات العقلية ومدى نضجها فإنه يجب مراعاة مايلي:

- ضرورة التفكير في الأغراض التي ترمي إليها التربية قصد العمل على تحقيقها بمعنى نتساءل ما الغرض الذي نرمي إليه لتعليم الأطفال.
- ضرورة مراعاة البيئة الجغرافيا والطبيعية لأمة بحيث يجب اختيار مضامين المواد بما يتناسب وحاجات هؤلاء سواء تعلق الأمر بالخدمات وكذا طبيعة المهن التي بإمكانهم أن يشغلوها مستقبلا.
- ضرورة مراعاة الحاجة الاجتماعية للأمة من أخلاق وعادات الشعب .
- التفكير في إعداد الطفل للعلم و العمل قصد إعداد الطفل للحياة العالمية.[20]

وفي اعتقادي أنه يجب أن نعمل وقت مستقطع لنقيم جهود الهيئات كل الهيئات اتجاه التكفل النفسي والاجتماعي اتجاه أبناء اللاجئين السورين ونظبط التقييمات بدقة ، حتى نتمكن من وضع السياسات اللازمة التي تحمي هؤلاء الأطفال وتحمي المجتمع الذي يستوعبهم .

13- التربية على المواطنة ودورها في تشكيل الهوية لأبناء اللاجئين السوريين:

يحدد كل من أوسلر وستاركي[21] Osler and Starky بأن من أهداف التربية على المواطنة كما تقترحه اليونسكو عام 1995

- في المجتمع المحلي :
- تحقيق السلام .
- العمل على غرس حقوق الانسان.
- نشر الديموقراطية.

[20] الاتجاهات التربوية الحديثة- محمد عطية الابراشي- دار احياء للكتب العربية جمهورية مصر ص ص 271 .272

[21] -Learning For Cosmpolitan Citizenship Théoretical Débats And Young People Experiences- Osler,And Starky,Educational Review ,2003,p243

- أما في المجتمع العالمي فهي:

- المسؤولية الاجتماعية وإدراك أهمية الالتزام العالمي.
- التعاون من أجل معالجة المشكلات وتحقيق العدالة والسلام والديمقراطية.
- احترام الاختلافات بين الناس سواء كان سببها الجنس أو العرق أو الثقافة.
- دعم التضامن والعدالة على مستوى الوطن وعلى المستوى العالمي.

وتعتبر الدول الأوروبية مثالا حيا فيما يتعلق بالتربية على المواطنة ،ورغم زخم هاته البلدان بكثير من العرقيات والطوائف الدينية واللادينية ،إلا أنها تتعايش فيما بينها بسلام وتشترك في وحدة الكيان الذي يوفر لها امتيازات الحياة والمشاركة الديمقراطية ، وفي ظل العدد المتزايد من المهاجرين اتجاه هاته الدول ووجود عدد كبير من الأجناس والثقافات،تم إقرار مشروع التربية من أجل المواطنة الديمقراطية لدول الاتحاد الأوروبي عام 1997 من قبل اللجنة التربوية التابعة للمجلس الأوروبي ،حيث أنيط بالمشروع تحديد كيفية قيام التربية الرسمية وغير الرسمية بمساعدة الكبار والصغار على اكتساب المحفزات،والمهارات لأغراض المؤسسات الديمقراطية،ودعم سيادة القانون،وترويج حقوق الإنسان ،والمتمثلة في مجموعة من السلوكيات والقيم من مثل التسامح ،التضامن،الرحمة،احترام الآخرين،الشجاعة المدنية ،وبلغ هذا المشروع ذروته عام 2000 أين دعا إلى ضرورة اكتساب كل متعلم الكفايات الجوهرية الخاصة بالمواطنة الديمقراطية،[22]وأنه أمام الوضع المتأزم للاجئين الذي يزداد تأزيما وتعقيدا كل يوم وفي غياب إستراتيجية واضحة للتكفل بأطفال هؤلاء اللاجئين أصبح من الضروري أن تخطط الجهات المسؤولة على تعليم هؤلاء الأطفال أن تتبنى مشاريع التربية من أجل المواطنة مع الحفاظ على الهوية السورية المتعددة الثقافات والأعراق والمذاهب الدينية،حتى توفر لهم نوعا من الانتماء والشعور بالطمأنينة،بمعنى توليد مجتمع متنوع الثقافات على أن يكون متوحد في وطنيته ولائه لبلده سوريا في إطار هوية وطنية جديدة، تستوعب كل الأطياف،والإثنيات ويكونون في بوتقة واحدة ،حتى لا تترسخ بينهم الخلافات والمزايدات ويصبحون جماعات متناحرة داخل أقلية كبيرة وهي جماعة اللاجئين فينعكس ضررها على نفسها وعلى المجتمع الذي يؤويها لأن المناطق التي تستوعب هاته الجاليات تضيق بالأعداد المهولة ،مما زاد في غلاء المعيشة وزيادة المشاكل الاجتماعية،إذن فبالأحرى أن تبتعد الجهات المتكفلة بهاته العينة عن سياسات التكفل الآني وتبتعد عن جعل العمل التطوعي جوهر العملية الإنسانية، بل جعله في إطار رسمي موجه بتشريعات ومناهج ،ومنظومة تنفيذية مختصة من معلمين

[22]-In ;Education For Dimocratic Citizenship : Cesar Birzea- A live Long Perspective ;Council of Europe ,2000,p30.

ومرشدين قادرة على تقديم الإعانة الحقيقية المتمثلة في إشباع حاجات الأمن والطمأنينة والانتماء ،وتوفر بذلك نوع من الاستقرار النفسي والاستمرار لهذا المجتمع الذي توزع شتاته على كافة أصقاع العالم ، ولا يتأتى هذا الأمر إلا من خلال خلق جسور التواصل بين الشعوب لبعضها البعض تمكن هؤلاء اللاجئين في حالة عدم العودة من الاندماج الإيجابي والفاعل داخل هاته المجتمعات ولا يكونون عبئا ثقيلا ينظر إليهم بعين الرهبة .

وعليه فالتربية على المواطنة هدفها تكوين المواطن الواعي بحقوقه والتزاماته ،يمتاز بالحس المدني،ويقوم بواجبات المواطنة عن طواعية،معتزا بشخصيته ومتشبعا بقيمه المحلية ومنفتحا على القيم العالمية،[23] ، والعمل على تمايز الذاتية الثقافية لهؤلاء الأطفال ،لأنها تحتل صميم التكوين الأنتروبولوجي والنفسي والاجتماعي والسياسي للثقافة ، وفي رأيي الخاص بأن هذا لا يمكن بناءه إلا من خلال المدرسة ومناهجها ،وهو أحسن دعم يمكن أن نقدمه لهؤلاء الأطفال.

الخاتمـــة:

إن الإنسانية اليوم أمام تحدي من تحديات القرن وهو التكفل بمجتمع يعيش داخل مجتمع آخر ،وإننا أمام ظرف يتمثل في كثرة الصراعات العسكرية الناتجة عن ظروف السياسة العالمية المتداخلة والمتعددة المصالح للدول واللوبيات، الباحثة عن التموقع وأخرى باحثة عن الاستغلال، أمام هذا وذاك يبقى هؤلاء اللاجئين والأطفال منهم بالخصوص يبحثون عن ذاتهم وعن هويتهم المفقودة والتي تشتت كما تشتت مجتمعهم،باحثين عن لقمة العيش لا أكثر ولكن المتبصر في أغوار هؤلاء الأطفال أنهم لا يدركون أنفسهم فهم داخل محبوسون في مخيمات وكأنها سجون بالنسبة لهم لا يشعرون بأي أهمية وأي دور اجتماعي لقد توقفت أحلامهم وتبددت طموحاتهم في هذا الزخم المتراكم من المبادرات الإنسانية الرسمية منها والتطوعية في غياب رؤى واضحة عن مستقبل هؤلاء أو انعدام رؤية تبحث عن كيفية تحضيرهم لمستقبل يعتمدون فيه على ذاتهم ويكون مصيرهم بأيديهم لا بيد غيرهم،إننا في حاجة لإخراجهم من فكرة الاعتمادية على الأخر إلى فكرة المسؤولية،وإدارة الذات خاصة لا على الانصياع والانقياد والالتزام بالأوامر، إنهم في حاجة

[23] التربية والمواطنة الواقع والمشكلات- بوزيان راضية – مركز الكتاب الجامعي ،عمان 2015 ص 144.

لتعلم كيفية العيش معا Learning to live together خاصة إذا علمنا بأن بيئتهم الاجتماعية تزخر برصيد كبير من الطاقات البشرية الفكرية والمهنية منها ،التي يمكن استغلالها وجعلها تساعد وتشارك في القرارات التي تتخذ اتجاه هؤلاء اللاجئين ،وإن التاريخ ليشهد لكل من عمل صادقا اتجاه هؤلاء الأطفال ومهما كتبنا من أحرف وأفكار لن بما يشعرون ولن نفهم على أي حال هم لأننا لم نرى ما رأوه وما سمعوه ،وما تحاكوا به، حيث تبقى معاناتهم مستمرة تحت استغلال تجار الرقيق ،والدعارة ،والإجرام والتطرف ويدخلون بذلك فيما يسمى باللامعيارية[24] السلوكية التي تحدث نتيجة لعوامل نفسية واجتماعية تتسم بألم نفسي ناتج عن فقدان قيمي وواقعي وذهني ،تجعل من الفرد عرضة للإغتراب النفسي و الثقافي،فتصبح بذلك هاته الخبرات النفسية المؤلمة جوا خصبا لتفاقم اللامعيارية بأشكالها ودرجاتها المختلفة.

قائمة المراجـــع:

1- الاتجاهات التربوية الحديثة- محمد عطية الابراشي- دار احياء للكتب العربية جمهورية مصر

2- التربية والمواطنة الواقع والمشكلات- بوزيان راضية – مركز الكتاب الجامعي عمان 2015 .

3- التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر1962-1980 –ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.1986.

4-بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس – ج3- بشير معمرية- منشورات الحبربني مسوس- الجزائر2007 .

5- تأثير الأزمة السورية على الوضع النفسي للأطفال في الداخل السوري- علياء أحمد- مجلة دلتا نون عدد 4 أكتوبر2015.

6-جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب – بوعيشة آمال (2014/2013) رسالة دكتوراه.جامعة بسكرة الجزائر.

7-خدمة الفرد السلوكية - النوحي عبد العزيز- القاهرة ،جمهورية مصر العربية.

8- علم اجتماع التربية –عبدالله عبد الدايم – دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية.2001

9- علاقة تشكل هوية الأنا بكل من مفهوم الذات وعلاقتها بالتوافق- عبير بن محمد حسن عسيري الطائف 2004./2003

10- فاعلية برنامج الدعم النفسي والاجتماعي المبني على المدارس الأساسية في تنمية بنائية اللعب والثقة بالنفس والتسامح. نيفين محمد صالح عبد الهادي. رسالة ماجستير .2013

[24] – مشكلات الشباب في المجتمع الجزائري بين أزمة الهوية واللامعيارية – جابر نصرالدين،غسيري يمينة ، مداخلة في ملتقى مخبر الدراسات النفسية والاجتماعية،جامعة بسكرة الجزائر ص 13.

11- فهم اضطراب الصدمة لدى الأطفال- كتاب مترجم للمؤلفين إلين باسيك،كريستين كوناث، كاثرين فولك، المركز الوطني للعائلات المشردة.فيفري 2006.

12- - في سيكولوجية الإنسان والمجتمع،عبد الرحمن الوافي،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،2011 .

13- مشكلات الشباب في المجتمع الجزائري بين أزمة الهوية واللامعيارية – جابر نصرالدين،غسيري يمينة ، مداخلة في ملتقى مخبر الدراسات النفسية والاجتماعية،جامعة بسكرة الجزائر.

14- نظريات النمو- محمد السيد عبد الرحمن – نظريات النمو – مكتبة زهراء الشرق 2001.

15- Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders ,American Psyhiatric Associatin1994.

16-In ;Education For Dmocratic Citizenship : Cesar Birzea- A live Long Pespective ;council of Europe .2000.

17-Learning For Cosmpolitan Citizenship Théoretical Débats And Young People Experiences- Osler,And Starky,Educational Review ,2003.

18-Social Knowledge And Citizenship Education :Two Views Of Criticism.1980